أثر العلاقات الزمانية بين الاحداث في اظهار دلالة الاستبعاد في القرآن الكريم

The influnce of time relationships among the events of which to clearfy the indication of isolation in the Holly Quran

أ.م.د.تراث حاكم مالك الزيادي
جامعة القادسية / كلية الاداب / قسم اللغة العربية
م.م. محمد كريم جبار / مديرية تربية المثنى

Asst. Prof. Dr. Turath Hakim Malik AL-Zaiadi
Department of Arabic
faculty college / University of Qadisiya
Asst. Instr. Mohammad Kareem Jabbar
Directorate of Education in AL-Muthanna

خلاصة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد، فإن العلاقات التي تربط بين الأحداث علاقات مختلفة، ويمكن حصرها وفقاً للمعيار الزماني بعلاقات ثلاث؛ إذ إنَّ احتمالات وقوعها الزماني تفضي إلى حصر علاقاتها الزمانية بالمُصاحبة والتعقيب والتراخي، فالحدث إما أن يقعَ مع غيره ويكون حينئذ مُصاحباً له، وإما أن يقع قبل الحدث الآخَر أو بعده، ويفضي هذان الاحتمالان إلى صورة مشتركة تتمثل في كون أحد الحدثين متأخراً عن الآخر، إلا أنَّ تلك الصورة تنقسم على قسمين تبعاً لوجود الفاصل الزماني الطويل (المهلة) بين الحدثين وعدمه، فمع عدم وجود المهلة بينهما تكون العلاقة الزمانية بين الحدثين التعقيب، أما عند وجود المهلة فتكون العلاقة الزمانية بينهما التراخي.

وتُظهِر العبارة القرآنية أنَّ هذه العلاقات تَشترك في دلالتها بدلالة كل منها على دلالة رئيسة، هي الاقترانُ في المصاحبة، والسرعة والاتصال في التعقيب، والبعد الزماني والمعنوي في التراخي. فضلاً عن اشتراكها في الدلالة على دلالات فرعية، هي نتاج تواشج الدلالات الرئيسية مع دلالات السياق، وما يُلفت النظر أنَّ دلالة الاستبعاد كانت أحدى أبرز تلك الدلالات الفرعية للعلاقات الثلاث، والاستبعادُ إنما يقع على الحدث الثاني، إذ يُظهِر السياق أنَّ الحدث الثاني يُعد بَعيداً مع وجود

حدث غيره، سواء كان ذلك الحدث قد سبقَ المُستبعد أو وقعَ معه، بمعنى أنَّ الحدث المُستبَعَد قد عَقَب الحدث الأول أو قد تراخى عنه، أو صاحبه.

ويُلمح في ذلك الاستبعاد -كما يَظهرُ من النصوص القرآنية - أنّه يكون تارةً متأتياً من عدم تقدم ما يكون مَظنةً لتحقق الحدث الثاني، نحو تبشير مريم عليها السلام بعيسى عليه السلام واستغرابها من هذه المُصاحبة واستبعادها أن يكون لها ولدٌ مع ثبات ووجود حَدث ينافي وقوعه، وهو عدم مقربة الرجال إياها، وكذا الحال في استغراب واستبعاد زوج إبراهيم عليه السلام تبشير الملائكة إياها بالولادة مع ما صاحب ذلك من عقم لها وشيخوخة لها ولزوجها.

وتارةً يكون الاستبعاد متأتٍ من تقدم حدث ليس بموجب لوقوع الثاني الذي يعقبه بل قد يكون موجباً لنقيضه، وهنا تختارُ العبارة القرآنية لفظة تؤدي الدلالة الرئيسية للتعقيب (السرعة والاتصال) مع قدرتها على أداء الدلالة الفرعية التي يوحي بها السياق وهي الاستبعاد. أما في الأحداث التي تعقب أحداثاً أخرى دون أن يكون بين الحدثين انتفاء وجود الثاني لوجود الأول، فلم تستعمل العبارة القرآنية دالة تؤدي دلالة الاستبعاد مع الاتصال والسرعة. ويظهر ذلك جلياً في استعمال (إذا) الفجائية للدلالة على التعقيب والاستبعاد في الحدث المفاجئ غير المتوقع، بينما كانت تستعمل (الفاء) في الأحداث المتوقعة والتي تربط بينها وبين ما سبقها علاقة السببية.

وكذا الحال في الاستبعاد الذي يؤديه السياق باستعمال دالة التراخي (ثم)، فقد وظِّفَ فيه ما يَدل عليه التراخي المجازي من دلالة على البُعد المعنوي، في بيان بُعد الحدث الثاني وتأخره رُتبياً في إشارة إلى أنّه ليس من مُوجب الحدث المُتقدم بل هو

نقيضُ موجبه، نحو ترتب الكفر بآيات الله على معرفتها، فمعرفة الآيات توجب الاعتراف والإيمان بها لا الكفر، فما كان من العبارة القرآنية إلا أن استعملت (ثم) للدلالة على البُعد المعنوي الذي يتواشج مع دلالات السياق فيفضي إلى دلالة استبعاد الحدث الثاني الذي يفضي هو الآخر إلى دلالة فرعية أخرى كالتهكم والتعجب.

... Abstract ...

Different realationship in alang urge tissus contact different events, and they can be collected according to atime balance in three relations, for if the expectations of their times fallings result to collect them by intermingle , commentary and sag . The Holly Quran phrase appears or shows that this relations take place in its indication which are to be coupled with comrades , speed , the connection with commentary and with meaning fullness dimension in sag . Besides their participation in amain indication with subsieliary indications and that are the results of main indication Harmony with the context indications.

The thing that draws attention is that the isolation indication was the most distinguished among all the indications , the subsidiary with the three relations .

The isolation falls on the second event , and the context shows that the second event considers away with foundation of the other event either that event preceds the isolated or falling with it , that's to mean the isolated event came after the first event or it may come with it .

مفهوم الاستبعاد والعلاقات الزمانية

لفظ الاستبعاد مَأخوذ من البُعد (وهو ضِدُّ القُرب، وما لهما حدّ محدود، وإنَّما هو أَمر اعتباريّ. ويُستعمل في المحسوس وفي المعقول ولكنّ استعماله في المحسوس أَكثر)(١) وحقيقته للأزمنة والأمكنة، وقد يُستعمل استعمالاً مجَازياً للمعاني المعقولة(٢) نحو استعمال القرآن الكريم إياه في قوله تعالى:﴿**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾(٣)، والبُعدُ الحقيقي يكون بالمسافة الزمانية والمكانية، ويكون المجازي في معان شتى منها الحب والمنزلة(٤).

والاستبعادُ مَصدر استبعدَ؛ لأن مصدر استفعل من (بَعُدَ) استفعال(٥)، أما صيغته فمن معانيها النِّسبةُ إلى الشيء، قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ): «تقول: استجدته أي أصبته جيداً، واستكرمته أي أصبته كريماً. واستعظمته أي أصبته عظيماً، واستسمنته أي أصبته سميناً»(٦). وجاء في مغني اللبيب: «صوغه على استفعل للطلب أو النسبة إلى الشيء كاستخرجتُ المالَ، واستحسنت زيداً»(٧)، فيكون معنى الاستبعاد اعتماداً على الصيغة والمعنى المعجمي هو نسبة الشيء إلى الُبعد سواء تعلق ذلك البعد في شيء مَحسوس، او في معنىً معقول، وهذا البحث يتناول من الأحداث ما اتصف بالبُعد في أمرٍ معقول عن حدث آخر تربطه به علاقة زمانية، وقد تكون تلك العلاقة مَجازية لكنّها تستند إلى حقيقة العلاقة الزمانية.

وبذلك يكون ميدان دراسة دلالة الاستبعاد في هذا البحث مُحدداً في إطار قيدٍ معين، يتحققُ ذلك القيد متى ما أشار السياقُ إلى بُعدٍ معنويّ لحدثٍ ما، وكان لذلك البعد مَرجعية تتمثلُ في حدث آخر تربطه بالحدث الذي عُدَّ بعيداً عَلاقة زمانية حقيقية أو مجازية.

بمعنى آخر أنَّ البحث يدرس دلالة الاستبعاد التي يتصف بها الحدث الداخل مع حدث آخر في واحدة من ثلاث علاقات زمانية، وهذا لا يعني حصر العلاقات بين الأحداث بالعلاقات المُشار إليها فقط؛ فالأحداث تربطها علاقات مُختلفة منها علاقات غير زمانية وأخرى زمانية هي محل البحث، ويمكن حصرها بعلاقات ثلاث؛ إذ إنَّ إمكانيات وقوعِ الأحداث الزماني تفضي إلى حصر علاقاتها الزمانية بالمصاحبة والتعقيب والتراخي، وهو ما يُفهم من كلام المرزوقي (ت٤٢١هـ): «واعلم أنَّ الحادث متى حصل فقد حصلَ في وقتٍ، والمُرادُ أنه يَصحُ أن يُقال فيه: إنَّه سابقٌ لما تَأخّر عنه، وإنَّ وقته قبلَ وقتِه، أو مُتأخرٌ عمّا تقدمه لأنَّ وقته بعد وقته أو مُصاحِبٌ ما حَدث مَعه»(٨)، فالحدثُ إما أن يقعَ مع غيره، ويكونُ حينئذٍ مُصاحباً له، وإما أن يقعَ قبل الحدث الآخر أو بعده، ويُفضي هذان الاحتمالان إلى صورةٍ مُشتركة تَتَمثل في كون أحدِ الحدثين مُتأخراً عن الآخر، إلا أنَّ تلك الصورة تنقسم على قِسمين تَبعاً لِوجودِ الفاصل الزماني الطويل (المُهلة) بين الحدثين وعدمه، فمع عدم وجود المُهلة بينهما تكونُ العلاقة الزمانية بين الحدثين التعقيب، أما عند وجود المُهلة فتكونُ العلاقة الزمانية بينهما التراخي.

وأُولى العلاقات التي تُظهِرُ دلالة الاستبعاد في أحد الحدثين المصاحبة وهي (الموافقة والمشاركة في الشيء)(٩)، وتنطبقُ على الأحداث انطباقها على الذوات، ففي قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ**﴾(١٠)، هي مُصاحبةُ ذوات؛ فهي بين نبي الله يوسف عليه السلام وبين الفتيين وقد تصاحبوا في الدخول في السجن، أما في قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾(١١)، فالمصاحبة بين حدثين وقد عبّرت عنها (واو) الحال، والحدثان هما إخراجُ أهلِ سبأ، وذلُهم، والأمر الذي تصاحبا به هو زمن الوقوع،

فعلاقة المصاحبة التي وجد البحث فيها دلالة استبعاد أحد المتصاحبين، هي علاقة زمانية بين حدثين اشتركا وتوافقا في زمن الوقوع، وهذا النمط من المصاحبة هو ما يهم البحث، فهو أحد العلاقات الزمانية التي تظهر بعض السياقات القرآنية استبعاد الحدث الثاني من المتصاحبين فيها.

وثاني العلاقات هي عَلاقةُ التعقيبِ وهو (أن يأتي شيءٌ إثرَ شيءٍ آخرَ دون مُهلة بينهما)⁽١٢⁾، وأشهرُ الدوال التي تؤدى بها هذه العَلاقة (الفاء) ومن المَواضع التي دلت فيها على التعقيب قولُه تعالى: ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾⁽١٣⁾، فتبشيرُ زكريا عليه السلام بالوَلدِ كان عَقِبَ دعائه مُتصلاً به، قال الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ): «ويدلُّ على أنَّهُ دعاءٌ واحدٌ مُتعقَبٌ بالتبشير العطفُ بالفاء في قوله تعالى: ﴿**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**﴾ وفي قوله سبحانه: ﴿**فاستجبنا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يحيى**﴾ وظاهرِ قولِه جلَّ شأنُه في مَريم: ﴿**إِنَّا نُبَشِّرُكَ**﴾ اعتقاب التبشيرِ الدعاءَ لا تأخره عنه»⁽١٤⁾. وثمة دوال أخرى دلت على التعقيب إلى جانب (الفاء).

وقد يبتعد الحدثُ الثاني عن الأول في زمن الوقوع، ويشكل ذلك فاصلاً زمنياً بينهما، وهو ما يُسمى بالمُهلة بينهما، فتتغير – عند ذلك – العلاقة الزمانية من التعقيب الى التراخي وهو ثالث العلاقات الزمانية، والتراخي هو (التمهل، وامتدادُ الزمن)⁽١٥⁾، وقال د. محمد التونخي: «هو في النحو المُهلة والانفصال الزمني»⁽١٦⁾، وأشهر دوال التراخي حرف العطف (ثم)، وتأتي للتراخي الحقيقي (الزماني) والتراخي المجازي. ومن استعمال (ثم) للتراخي الزماني، قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا**

مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾(١٧)، فبينَ موتِهم وإحيائهم مدةٌ زمانية طويلة عُرِّيت فيها عظامُهم، وتَفَرَقت فيها أوصالُهم، ثم جاء الأمرُ الإلهي بإحيائهم بعد مرور ذلك الزمن الطويل(١٨).

ولم يجد البحث دلالة استبعاد الحدث الثاني فيما كان من التراخي بين الحدثين تراخياً حقيقياً، في حين كانت دلالة الاستبعاد واحدة من أبرز الدلالات الفرعية للتراخي المجازي. والتراخي المجازي هو تراخ رتبي، وكأن الثاني من الحدثين متراخٍ عن الأول في الرتبة، وتكونُ المُهلة حينئذٍ (مُهلة تخييلية في الأصل تشيرُ إلى أن المعطوفَ بثُم أعرق في المعنى الذي تتضمنه الجملة المعطوف عليها)(١٩)، ويبقى وجه الشبه بالتراخي الحقيقي هو وجود الفاصل وبعد ما بين الحدثين.

ولا تختص علاقة التعقيب والتراخي بالأحداث فقط، بل كان للذوات نصيب من الربط بها، لكن ما يخص البحث هو تلك التي بين الأحداث؛ لانّ دلالة الاستبعاد إنما تقع على الأحداث فقط.

أثرُ علاقة المصاحبة بين الأحداث في إظهار دلالة الاستبعاد

يجد البحث أنَّ من المصاحبات ما جاءَ في سياقاتِ تَستبعدُ وقوعَ أحد الحدثين المُتصاحبين مع وجود الحدثِ الذي صاحَبه؛ لأنَّ النواميس الطبيعية قائمةٌ على تنافي تَصاحبِ ذينك الحدثين في زمن واحد، من تلك المصاحبات تلك التي حكت الخوارق التي حصلت لعبادِ الله مع افتقارهم لمظانِ تحققِها الطبيعيةِ، وهي مع ذلك تَحملُ في طياتها دلالةً أخرى،كدلالةِ السؤالِ عن الكيفية، في قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ**﴾(٢٠)،

فَكي يُرزقَ بولد، يَتَطلب أن يكونَ حالُه وحالُ زوجته خلافَ ما هو عليه، جاء في روح المعاني: «وإنما قال ذلك عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى عليه لاسيما بعدَ مشاهدتِهِ عليه السلام الشواهد السالفة استفساراً عن كيفية حصولِ الولد أيعطاهُ على ما هو عليه من الشيب ونكاح امرأة عاقر أم يتغير الحال»(٢١)؟.

وتُلحظ مثل تلك الدلالة في قوله تعالى على لسان مريم عليها السلام في سورة آل عمران: ﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾(٢٢)، وقوله في سورة مريم: ﴿**قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**﴾(٢٣)، فمريم عليها السلام إنما تعجبت من أنْ يكونَ لها غلامٌ مع عدمِ وجود ما يَلزم ذلك، قال الرازي(ت ٦٠٦هـ): «... أنها إنما تعجبت بما بشّرها جبريل عليه السلام لأنها عرفت بالعادة أنَّ الولادة لا تكون إلا من رجل والعادات عند أهل المعرفة مُعتبرةٌ في الأمور وإن جوّزوا خلاف ذلك في القدرة»(٢٤).

ومثل تلك الدلالة قوله تعالى حكاية لقول امرأة إبراهيم عليه السلام: ﴿**قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾(٢٥)، فهي إنما تعجبت من حال هذه الولادة التي صاحبت كونها عجوزاً فضلاً عن كون بعلها شيخاً، وهي مُستَبعدةٌ فيما هو مَعروفٌ من سُنَنِ الطبيعةِ البَشريةِ، قال الزمخشري(ت ٥٣٨هـ): «وهو استبعاد من حيث العادة التي أجراها الله. وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبَها بـ ﴿**قالوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾ لأنها كانت في بيت الآيات ومَهبَط المعجزات والأمور الخارقة للعادات»(٢٦).

إنّ هذه المُصاحباتِ بين أمورٍ مُستَبعَدةُ التصاحبِ مع نقائضِها الطبيعية، التي ليس من شأنها وقوع الحدث الأول بوجودها، هي مصاحباتٌ خارقةٌ للعادة، فهي

كَراماتٌ لأنبياء الله وأوليائه؛ لذا كانت واقعةَ الوجود على الرَّغم من كون الحدث الثاني مُستبعداً، وعُلِلَ وقوع الحدث مع كونه مستبعداً بأنه عائد إلى مشيئة الله سبحانه وتعالى.

وفي قُبالَةِ ذلك يجد البحث أنَّ بعضَ المصاحبات المُتَحَقِقة بين الحدثين يُظهِرُ السياقُ الذي وردت فيه أنَّ الثاني مِن الحدثين مُستَبعدٌ وقوعُه مع وجود ما يَستوجِب عدمَ وقوعه، فَمثلاً يُرى أنَّ عُتُوَّ الكفّارِ وعنادَهم قد أصمَّ أسماعَهم، وأعمى أبصارَهم فجاءوا بخلاف ما هو مُتوقعٌ منهم، واقترفوا ما هو مُستَبعدٌ بوجود الآخر، وهو ما عبّر عنه قوله تعالى: ﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ**﴾(٢٧)، فالجملةُ الحاليةُ مَثّلت الحدثَ الثاني المُستَبعد معه وقوع الحدث الأول، قال ابن عاشور(ت ١٣٩٣هـ): «وجملة {وأنتم تتلى عليكم آيات الله} حالية، وهي محطّ الاستبعاد والنَّفي لأنّ كلاً من تلاوةِ آياتِ الله وإقامةِ الرّسولِ عليه الصّلاة والسَّلام فيهم وازعٌ لهم عن الكفر»(٢٨).

وثمة مَجموعةٌ أخرى من النصوصِ القرآنيةِ التي تَظهَرُ فيها دَلالةُ استبعاد حُصول الحدث إنْ لم يكن مُصاحِباً لحَدث آخرَ يكونُ شَرطاً لوقوعِهِ، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾(٢٩)، قال ابن هشام (ت ٧٦١هـ): «والواو من قوله تعالى: (ولما) واو الحال والتقدير: بل أحسبتم أن تدخلوا الجنةَ وحالُكم هذه الحالة»(٣٠). فاستبعادُ وقوع الحدث هنا لِعدم توفر شرطِه وهو الحدثُ المُصاحِب له، وهو ما نَفت الآية القرآنية وجوده.

وجاء في فتح القدير: «والمعنى: أم حَسبتم أن تَدخلوا الجنةَ، والحالُ أنه لم

يتحقق منكم الجهاد، والصبر، أي: الجمعُ بينهما»(٣١)، فدخولُ المخاطَبين الجنة بالآية مشروطٌ بمصاحبةِ الحدثِ الآخرِ (الجمع بين الجهاد والصبر)، ودخولها مُستَبعدٌ – بالنسبة للمخاطَبين – بَل مُنتفٍ عِندَ عَدمِ وقوعِ الحدثِ الثاني.

فتكون عَلاقة المصاحبة بين الأحداث قد أظهرت استبعاد أحدِ الحدثين بِصور مُختلفةٍ، منها ما كان فيها الحدثُ المُستَبعدُ واقعاً، ويكون التعويلُ حينئذٍ على السياق في بيان عدم كون الحدث الآخر مُوجباً لوقوع الحدث المُستَبعد، إمّا لكونه خِلافَ ما يتطلبه الحدثُ المُستَبعد للوقوع، وإمّا لكون الحدثِ الذي صاحَب الحدث المستبعد مهيئاً لوقوع ما هو خلاف الحدث المُستَبعد. وكانت بعضُ الصور تُظهر عدمَ تَحقق المُصاحبةِ بين الحدثين؛ لأن السياقات التي وردت فيها تلك المصاحبات تومئ إلى انتفاء وقوع الحدث المُستَبعد إلا أن يُصاحِبَ الحدث الذي يُشكّل شرطاً لوقوع الحدثِ الثاني. وهذه الصورُ المُختَلِفة تُظهِرُ أثرَ عَلاقة المصاحبة الزمانية في بيان الحَدث المُستبعد في صور شتى وفقاً للسياق الذي وردت فيه. وخليقٌ بالذكر أنَّ العبارة القرآنية زادت في بيانِ دلالةِ الاستبعاد في اختيار ألفاظٍ افتتحت بها المُصاحبات لتؤدي دَلالاتٍ مُنسَجِمةً مع دلالة الاستبعاد من قَبيل التَعجب والتوبيخ.

أثر علاقة التعقيب بين الأحداث في إظهار دلالة الاستبعاد

تُظِهرُ بعضُ السياقات التي ورد فيها التعقيب دلالةَ عدم توقع حصول الحدث الثاني بعد الأول؛ إذ إنَّ الأول منهما ليس من شأنه أن يكونَ مُوجباً للثاني، بل قد يكونُ على العكس تماماً، لأنَّ الأول من الأحداث – حينئذ – مُوجِبٌ لنقيض الحدث الثاني. والحدث الثاني غير مُتوقَعٍ، وقد اختارت العبارةُ القرآنية في بعض

النصوص للتعقيب الدال على تلك الدلالة دالةً جامعةً للدلالة الرئيسة للتعقيب (السرعة والاتصال) ودلالةِ الاستبعاد، وتلك الدالة هي (إذا) الفجائية التي تدل على المُبادرة إلى الأمر غير المُتوقع، فمعناها في تلك النصوص وقوع خلاف المتوقع من صاحب الحدث(٣٢)، ومعنى الاستبعاد متأتٍ من «ترتّب الشيء على غير ما يظن أن يترتبَ عليه»(٣٣)، وهذا يظهر دقة توظيف العبارةُ القرآنيةُ (إذا) الفجائيةَ للدلالةِ على التعقيب، ومعنىً آخرَ تمثَّل في دلالةِ التَّهجُّم بين الحدثين، وهو ما لا يُلحظ في دوال التعقيب الأخرى كـ (الفاء) وغيرها، ففي قولِه تعالى: ﴿**فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾(٣٤)، يُلحظ أنَّ الحدثين بينهما تعقيبٌ، وتهَجمٌ، وهذا يعني: «أنَّهم يُظهرون السَّخَطَ عَقيبَ عدمِ الإعطاء»(٣٥). لكنَّ إظهارَ السَّخط لم يكن مُرتقَباً منهم، وأصبحَ إظهارُهُ عَقيبَ عَدمِ الإعطاءِ كالتَّهجُّم، وهو ما ناسَبَ اختيارَ (إذا) هنا دونَ (الفاءِ) ولو كان النص مُقتصراً على دلالةِ التعقيبِ لجِيءَ بـ(الفاء)، قال ابن عاشور: «ودلّت {إذا} الفجائيةُ على أنّ سَخَطهم أمرٌ يفاجئ العاقلَ حينَ يَشهده لأنّه يكونُ في غير مَظنّة سَخَطٍ، وشأنُ الأمور المفاجئة أن تكونَ غريبةً في بابها»(٣٦).

وقد أشارَ الرضي (ت ٦٨٦هـ) إلى ذلك الفارقِ بين (اذا) وبين (الفاء) في الربط بين الجواب والشرط، قائلاً: «وأما (إذا) فاستعمالها قبلَ الاسمية أقلُ من الفاءِ لثقل لفظها، وكون معناها من الجزاء أبعد من معنى الفاءِ، وذلك لتأويلِه بأنَّ وجودَ الشَّرطِ مُفاجئٌ لوجودِ الجزاء ومُتهجِّمٌ عليه»(٣٧).فدلالةُ التهجم التي تؤديها (إذا) الفجائيةُ لا تُفارقُ التعقيبَ بين الحدثين المَربوطينِ بها، وتَتَمثلُ تلك الدلالةُ في كونِ الحدثِ الثاني غيرَ مُتوقعٍ، وغيرَ مُنتَظَرٍ.

ويمكن أن يُعدَّ ضَحِكُ فِرعَونَ وملئه من الآيات والاستهزاء بها عَقِبَ مجيئها إياهم مثالاً لما البحث بصدده من بيان لإظهار علاقة التعقيب بـ (إذا) الفجائية دلالةَ الاستبعاد، وهي الدلالة التي أدَّاها التعقيب في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ**﴾(٣٨)، فقد أرادت العبارة القرآنية بيان استبعاد وقوع الضحك والاستهزاء بالآيات فاختارت لذلك ما يُناسِبه من الدوال، فليسَ الضَّحِكُ مُتوقعاً منهم بعد رؤية الآيات التي وصِفت بأنَّ إحداها أكبر من الأخرى، لاسيما أنه كان عَقِبَ مجيء الآيات دون مهلة تُمكِّنهم من التأمل فيها(٣٩).

ولو كان المعنى المُرادُ إظهارَ سرعة وقوع الضَّحِك بعد مجيء الآيات لاكتفت العبارة بـ (لما) الدالة على التعقيب السريع(٤٠)، ولكان التعبيرُ هكذا:(فلما جاءهم بآياتنا ضَحِكوا منها)، وهو ما اكتفت به العبارة القرآنية في مواضع لم يكن القصدُ فيها إظهارَ الاستبعاد بين الحدَثَين، بل كانت لدلالة أخرى، نحو قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾(٤١)، فالإعراضُ ليس النتيجةَ الطبيعية للتنجية، لكنّه لم يصل إلى مَرتبة المُستبعد وقوعُه بدليل ذيلِ الآية الذي يُفهم منه أنَّ ذلك من طبيعة الإنسانِ وليس مُستبعداً منه بعدَ ذلك الإعراضُ، فيكون قوله: «﴿**وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾ كالتعليلِ للإعراض»(٤٢)، ويعضِّدهُ سياقُ المُحاكمةِ العقلية الذي وَردت فيه الآية.

وبالعودة إلى سياقِ مجيء الآيات إلى فِرعَونَ وملئه، يجد البحثُ استمرارَ دلالة استبعاد الأفعال الصادِرة من فِرعَون وملئه، إذ تتصاعدُ دلالةُ الاستبعادِ في السياق الذي وردت فيه الآية الماضية، فيؤثرُ ذلك على اختيارِ دالةِ التعقيب في مَوضع قريب يلي الآيةَ السابقة، وهو قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ**﴾(٤٣)،

فالحدثُ الثاني هو نَكثُهم عهدَهم، وهو واقعٌ بعد كشف العذاب عنهم بلا فاصل زماني، بشهادة (لما) التي تفيد التعقيب، وقد آزرتها في ذلك (إذا) الفجائية الواقعة في جوابها. أما دلالة الاستبعاد فتتضح من أقل تأمل لسياق الآيات الماضية وذلك التأمل يكشف أيضاً سِرَّ اختيار (إذا) الفجائية رابطةً للجواب دونَ (الفاء) مَثلاً، ولعله مما يبيّن سببَ عَدم مجيءِ الجواب خالياً من الرابط بأن يقال: (فلما كشفنا عنهم العذاب نكثوا)؛ فالسياق بَيَّنَ مُقابلة فِرعَونَ وملئه الآياتِ بالاستهزاء، ومن ثَمَّ بَيَّنَ الانتقالَ من الإصلاح بالمُحاجَّة العقلية إلى الإصلاح بمبدأ الثواب والعقاب لعلهم بذلك يُصلحون، وما أن حَطَّ العذابُ رحالَهُ عندهم حتى فَزِعوا إلى الرسول يعاهِدونه بالإيمان هذه المرة إن رُفعَ عنهم العذابُ، وما ان رُفعَ عنهم ما نَزَلَ بساحتهم من العذاب جاءوا بِخلاف ما ألزموا به أنفسهم، وما كان ينبغي لهم دون إلزام، فنكثوا عهدهم وعادوا سيرتهم الأولى(٤٤). فالدلالةُالرئيسية التي عبّرت عنها (لما) و(إذا) الفجائية هي السُّرعة وقد تحوَّلَ السياقُ بتلك الدلالة إلى دلالة الاستبعاد بِمَعونة دالةِ التعقيب المناسبة، التي أظهرت دلالة عَدمِ الارتقابِ وهي ما تقوم عليه دلالة استبعاد الحدث، أما التَّهجمِ فهو يمثل السرعة والاتصال اللذين يشكلان دلالة التعقيب الرئيسية.

وقد يتفق أن يكون ذلك الاستبعاد ناظراً إلى إدعاء المخاطبين، فيؤتى بالتعقيب دالاً عليه للتهكم بالمخاطبين والتبكيت بهم، ولعلّ هذا ما يَصحُّ أن يكون تخريجاً لدلالة التعقيبِ على الاستبعادِ في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ**﴾(٤٥)، فقد ضَجوا وارتفعت أصواتهم من شِدة العذاب عَقِبَ نُزولِه بهم، وهو أمرٌ مُتوقعٌ مِنهم، غير مُستبَعَد من جِهةِ صبرِهم على عَذاب الله سُبحانه وتعالى، لكنَّه من جانب التهكم بهم يُؤدي دلالةَ الاستبعاد؛ فقد «كانوا يقولون: لا يَظهرَ علينا

أحدٌ لأنّا أهلُ الحَرم»⁽٤٦⁾، ويؤيّد أن ذلك الاستبعاد تهكم بهم ذكر استكبارهم على الناس، وهو المُبيّن فيما تلا الآية المباركة، وهو قوله تعالى: ﴿**لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ * قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ**﴾⁽٤٧⁾، وعضّدَ ذلك أيضاً الالتفاتُ من الغيبة إلى الخِطاب، فالعدول «عن سياقِ الغَيبة إلى الخطاب لتشديد التوبيخ والتقريع ولقطع طمعهم في النجاة بسبب الاستغاثة»⁽٤٨⁾، فدلالةُ التعقيب هنا اعتمدت على الدلالةِ الرئيسية التي تعاونت مع قرائن السياق لتؤدي دلالة فرعية هي الاستبعاد التي أفضت هي الأخرى إلى دلالة التهكم والسخرية، ولعلَّ دلالة التعقيب هذه هي نفسُها التي يدلُّ عليها التعقيبُ في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ**﴾⁽٤٩⁾، ويُظهرُ قوله تعالى –الذي تلا هذه الآية المباركة–: ﴿**لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾⁽٥٠⁾ أنَّ المُرادَ من هذا التعقيب دلالةُ الاستبعاد المُفضية إلى دَلالة التَهكُم والتبكيت.

والمُتأمِلُ للمواضع التي جاءت فيها (إذا) الفجائيةُ، يجدُ أنَّها لم تُفارِقْ دلالةَ المُبادَرِة، وإتيانِ غيرِ المُتَوَقَع⁽٥١⁾، وذلك ما تقوم عليه دلالةَ استبعادِ الحدث بعدَ وقوع حَدثٍ آخرَ، من شأنه وقوع حَدَثٍ مُختلفٍ عمَّا هو واقعٌ، وقد يكونُ المُتَوَقَعُ عكسَهُ تماماً، فلم يكن يُنتظرُ من فاعِلِ الحدثِ القيامُ به بعدَ ما مرَّ من حدثٍ قبلَهُ. ويلحظ على تلك المواضع أن أغلبها كانت أفعالاً صَادرةً من فئاتٍ إنسانيةٍ مُنحَرِفةٍ، تضعُ مَحَلَ الشُّكرِ النُكرانَ، ومَحلَ الاعترافِ بالفضل الكفرَ، ومَحلَ الطاعةِ والتسليمِ التولي والإدبار.

ومِن تلكَ المواضعِ قولُه تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ**

إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾(٥٢)، فَضَعفُ الإنسانِ من الشدة بمكان أنّه لا يَحتَملُ أقلَ البلاءِ وأصغرِه، ويلجأُ إلى ربِّه بالدعوة مُخلِصاً عند إصابتِه بشيءٍ من الضُّرِّ؛ ولعل هذا ما دعا إلى خلو جواب الشرط الأول من (إذا) الفجائية لان الحدث الثاني متوقع وغير مستبعد فقالت الآية المباركة:(دَعَوْا رَبَّهُمْ)، بخلاف جواب الشرط الثاني الذي بدأ بـ(إذا) الفجائية؛ لأنَّ الأولى بالإنسان شُكرُ ربَّه بعدَ إزالةِ البلاءِ عنه، لا المُبادرةُ إلى الشِّرك، ومن هنا جاءت دلالة الاستبعاد، قال الشيخ الطوسي(ت ٤٦٠هـ) في معنى المفاجأةِ في الآية المباركة: «أي يَعودونَ إلى عِبادةِ غيرِ اللهِ بِخلافِ ما يَقتضي العقلُ في مُقابلةِ النِّعمةِ بالشُّكر»(٥٣). وتُعاضدُ دلالةَ المُبادرةِ في (إذا) الفجائيةِ، دلالةُ لفظةِ (أذاقهم)، قال ابن عاشور: «واختيرَ فِعلُ الإذاقةِ لما يدلُّ عليه من إسراعِهم إلى الإشراكِ عندَ ابتداءِ إصابةِ الرحمةِ لهم»(٥٤).

ولو كانت أداة الربط (الفاء)، فقيلَ «ثم إذا أذاقهم منه رحمة ففريق منهم بربهم يشركون» لَفُهِمَ منها التعقيبُ، ولَضُيّعَت دلالةُ الاستبعاد، وحلت محلها دلالةُ السببية، وكأنَّ تلك الإذاقة ستكون سبباً طبيعياً للإشراك، وهو معنىً غيرُ مُراد، قال د.فاضل السامرائي: «إنَّ الفاء تفيد السبب، ولا تفيد المفاجأة، وهناك فرق بين السبب والمفاجأة، ألا تحسّ فرقاً في المعنى بين قوله: **﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾** والقولِ (فهم يسخطون)؟ ألا ترى أنَّ في الأول سرعةَ تَغير ومفاجأة في الموقف، أما الثاني فسبب مَحضٌ وليس فيه معنى المفاجأة؟»(٥٥).فَتحصلَ من ذلك أنَّ التعقيب الذي تؤديه (الفاء) مَشفوعٌ بدلالة السببية، والتعقيب الذي تؤديه (إذا الفجائية) مَشفوع بدلالة المفاجأة، وهذا الفرق ظاهر في الاستعمال القرآني لكل منهما.

ومن النصوص التي تُظهرُ فيها علاقة التعقيب بين الأحداث دلالة الاستبعاد باستعمال (إذا) الفجائية قولُهُ تعالى: ﴿**وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾(٥٦)، فقَرائِنُ السِّياقِ تُشيرُ إلى أنَّ المَدعوينَ إلى حُكومةِ الرسولِ ﷺ أولى بهم تَلبيةُ الدَّعوةِ بالاحتكام إليه ﷺ، لكنَّ ما حَدثَ هو عَدمُ قَبولِهم تلك الحكومةَ فأعرضوا عنها(٥٧). وحَدثُ إعراضِهم عن حُكومةِ رسولِ اللهِ ﷺ وقعَ عَقِبَ دَعوتِهم إليها، فناسبَ أن اختيرَت (إذا) الفجائيةُ لهذا المعنى؛ لأنها جَمعت بينَ التَّهجمِ الذي تَمَثَّلَ في الاستبعادِ، والتعقيبِ بينَ الحدَثَين، جاءَ في رُوحِ المَعاني:«أي فاجَأ فريقٌ منهم الإعراضَ عن المُحاكَمةِ إليه ﷺ لكونِ الحقِ عليهم وعلمِهم بأنَّه ﷺ لا يَحكمُ إلا بالحقِ، والجملةُ الشرطية شَرحٌ للتولي ومُبالغةٌ فيه حيثُ أفادت مفاجأتهم الإعراضَ عِقبَ الدَّعوة»(٥٨).

وجدير بالذكر أن ثمة مواضع دخلت فيها (الفاء) على (إذا) الفجائية وكان للعلماء في هذا الاجتماع آراء مختلفة(٥٩)، وفي قبالة ذلك كانت (إذا) الفجائية مجردة من (الفاء) في المواضع الأخرى، والملاحظ في أغلب المواضع التي تجردت فيها (إذا) الفجائية عن (الفاء) أن دَلالة التعقيبِ فيها دَلالةٌ مُصاحبةٌ لدلالةِ استبعادِ الحَدثِ الثاني في أغلبِ النصوصِ، أما دلالتُها مُقترنةً بـ(الفاء) فمُختَلفَةٌ عن دلالةِ استبعادِ الحَدثِ الثاني، ناهيكَ عن أنَّ السياقاتِ التي وردت فيها هي سياقاتٌ مُختلفةٌ، فلم يَعدِ الحدثُ الثاني فيها صادراً من مُجموعةٍ إنسانيةٍ مُنحرفةٍ في الأغلب.

ومن أدلة البحث على اختصاص دالة التعقيب (إذا) الفجائية بالدلالة على الاستبعاد فضلاً عن دلالة التعقيب الرئيسية ما تبيّنه الموازنة بين بعض صُور تضافر دوال التعقيب، كدخولُ (الفاء) في جواب (لما) تارةً، ودخول (إذا الفجائية) فيه تارةً

أخرى، أما دالة التعقيب (لما) فهي تفيد العلية فضلاً عن التعقيب(٦٠)، ولعلَّ تلك العلية ما تعززُهُ (الفاء) في تضافرها مع (لما) عند دخولها في جوابها، نحو قوله تعالى: **﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾**(٦١)، فالحدثُ الذي عَقَب تنجيتهم إلى البر، هو اقتصادُ قسمٍ مِنهم، و «المُقتصِدُ سالكُ القَصد أي الطريق المستقيم والمراد به التوحيد الذي دلتهم عليه فطرتُهم»(٦٢)، وعلى هذا تكون (الفاء) في إطار التعبيرِ عن التسبيب، وهو ليس ببعيدٍ عن ما تُفيده (لما) من العِلّية، فاقتصادُ فئةٍ من الذين نجوا بعد أن رأوا ما رأوا من أهوالِ البحر، نتيجةٌ طبيعةٌ لتنجيةِ الله إياهم من الهَلَكَةِ، فكان تضافر (الفاء) مع (لما) رعايةً لهذا المعنى، ودليلُ البحثِ على ذلك اختلافُ المعنى عند تضافر (إذا الفجائية) مع (لما)؛ إذ يختلفُ المعنى حينئذ من النتيجة الطبيعة إلى أمرٍ مُستبعَدٍ وقوعُه؛ لأنّه غير مُتوقع من فاعِليهِ بعد الذي سَبقَهُ من أحوالِهم.

وذلك ما يَظهرُ واضحاً عِندَ دُخولِ (إذا) الفجائية في جَواب (لما)، وفي المَوضوعِ ذاتِه؛ فالحدثان اللذان تعقّب أحدهما الآخر أولُهما التنجيةُ إلى البر، بعد ما أخلصوا الدعاء لله تعالى أثر رؤيتهم أهوال البحر، لكنّ الحدث الثاني هنا حدث مُستبعَدٌ وقوعُه منهم بعد أن اخلصوا الدعاءَ لله، وهو ما يُلحظُ في قوله تعالى: **﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾**(٦٣)، فالناجون لم يتأخروا زمناً حتى أشركوا بمُخلصهم ومُنجيهم(٦٤) الذي لم يَمضِ زمنٌ بَعيدٌ على دَعوتِهم إياه مخلصين، والإشراكُ بعد التنجية مُستَبعدٌ، لا كالاقتصاد بعد التنجية فهو من نتائجها؛ لذا جيء بـ(إذا) الفجائية لتتضافر مع (لما) بدخولها على جوابها، رعايةً لهذا المعنى.

ومنه قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ**﴾(٦٥)، فمما قِيلَ في سَببِ نُزولِ هذه الآيةِ المُباركة، أنَّ فريقاً من المسلمين كانوا يَطلبون القتال، وقد كُفوا عنه؛ إذ أُمروا بالصبر، لكنَّ حالَ فريق منهم تغيّر إلى غير المُتوقع بعد أن أُمروا بِقتال الكافرين، ضَناً منهم بأنفِسهم وحِرصاً على حياتهم(٦٦)، فخشيتهم الناس وقعت عَقِبَ أمرهم بالقتال، وهو ما أدّته دالة التعقيب (لما) و(إذا) الفجائية، وذلك الخوف من الناس والامتناع عن القتال لم يكن مُتوقعاً منهم بعد طلبهم القتال، وهذا ما عبّرت عنه دالةُ التعقب (إذا) الفجائية. قال ابن عاشور: «وقد دلّت (إذا) الفجائية على أنّ هذا الفريق لم يكن تُترَقّب منهم هذه الحالةُ، لأنّهم كانوا يَظهرونَ من الحَريصينَ على القتال»(٦٧). فتضافر الدالتين هنا أتاح للعبارة التعبير عن معنى العلية والسببية، وعدم التوقع والاستبعاد، فضلاً عن دلالة التعقيب التي لا تخلو من الدلالة عليها كلتا الدالتين.

فتضافر الدالتين عبَّر عن معنىً هو حصيلة اجتماع معنييهما وبذلك يكون لكل منهما دورٌ في تشكيل معنى العبارة التي تضافرا فيها. وذلك التضافر بين الدوال، أظهر أنَّ دلالة بعض دوال التعقيب لا تنفك لازمةً لمعنى مُختصة به، وإنْ اجتمعت مع دالة أخرى، بل لعل اختصاصها بذلك المعنى هو الذي دعا لاختيارها دون غيرها من الدوال، ولعل ذلك مما يَصدقُ على (إذا) الفجائية التي ما انفكت دالةً على الاستبعادِ مُتضافرةً مع (الفاء)، ومع (لما).

أثر علاقة التراخي بين الأحداث في إظهار دلالة الاستبعاد

تستثمرُ بعض السياقات دلالةَ التراخي بين الأحداث على البُعد المعنوي - وهي احدى دلالتي التراخي الرئيستين - للدلالة على استبعاد الحدث الثاني مع وجود الحدث الأول، ويُلحظ أنّ تلك السياقات لم تكن ناظرةً إلى الحدثين بمعيار زماني، فقد يكون بين الحدثين مصاحبة زمانية أو يكون بينهما تعقيب أو تراخٍ زماني. لكن النظر إليهما وفقاً للمعيار الرتبي يُظهِرُ أنَّ بينهما تراخياً.

وقد عدَّ الزمخشري الاستبعاد من دلالات حرف العطف (ثم) في بعض المواضع القرآنية منها قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**﴾(٦٨)، إذ قال في تفسيره: «{ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا} للاستبعاد. والمعنى: أنَّ الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مُستبَعَدٌ في العقل والعدل، كما تقول لصاحبك: وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعاداً لتركه الانتهاز»(٦٩). وهي الدلالة التي قال بها في بعض مواضع التراخي بـ(ثم)(٧٠)، وقال في الوقت نفسه بدلالة (ثم) على التفاوت والبعد المعنوي، والتراخي في الحال والرتبة(٧١)، وأغلب الظن أنَّ الزمخشري كان يذكر الدلالة الفرعية في بعض مواضع التراخي والدلالة الرئيسية في المواضع الأخرى، وهو ما يوهم أنَّ (ثم) أدّت دلالاتٍ مختلفة، نحو ما ذهب إليه بعض الباحثين(٧٢)، والحق أنّها أدت دلالة رئيسية شبيه بدلالتها الحقيقية، لكنّ السياق يُظهِرُ للتراخي الذي أفادته دلالاتٍ فرعية مُختلفة، فلا ضير بعد ذلك من «إدراج هذه التسميات جميعاً تحت تسمية البعد المعنوي»(٧٣) وهو دلالة رئيسية للتراخي بمختلف الدوال.

والعبارة القرآنية تعتمد على السياق في بيان دلالة استبعاد الحدث الثاني المتراخي عن الحدث الذي سبقه اعتماداً كبيراً، وهو ما التفت إليه أبو حيان (ت ٧٤٥هـ)؛ إذ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾(٧٤): «الاستبعاد مَفهومٌ من سياق الكلام لا من مَدلول (ثم)»(٧٥)، وقد أوضح أثر سياق الكلام في بيان دلالة الاستبعاد في موضع آخر، بقوله: «وهذا الاستبعاد لا يُستفاد من العطف بثم، وإنما يُستفاد من مجيء هذه الجُمل ووقوعها بعد ما تقدم مما لا يقتضي وقوعها»(٧٦). وبهذا يَظهر سببُ الخلط بين التراخي الرتبي وبين الاستبعادِ في بعض مَواضع التراخي؛ إذ يُخلط بين ما يُؤديه السياق من مَعنى عَدم مُناسبة وقوع الحدث الثاني الذي عبَّر عنه المعطوف بعد وقوع الحدث الأول الذي عبّر عنه المعطوف عليه، وبين ما جعله السياقُ مِعياراً يَصح وفقاً له التراخي بين الحدثين.

وثمةَ سبب آخرُ أفضى إلى الخلطِ بين التراخي الرتبي وبين الدلالة الفرعية للتراخي (الاستبعاد) في بعضِ المواضع، وهو يَتمثّلُ في عَدم مَنح السياقِ العنايةَ الكافية للوقوف على دلالات التراخي، وليس بعيداً بعد ذلك أن يَقعَ الخلطُ، وخير دليل على ذلك عَدُّ الزمخشري دلالة (ثم) في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾(٧٧) استبعادَ وقوع ما بعدها؛ إذ قال: «فإن قلت: فما معنى ثم؟ قلت: معناها الاستبعاد، لأنّ النصرة من الله مُستبَعدَةٌ مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له»(٧٨)، ولو أن السياق كان يشير إلى أنّ الحدث الأول هو استيجابهم العذاب لكان النصر مُستبعداً، لكنه يشير إلى أنّ عدم وجدانهم أولياء من دون الله هو الحدث الأول؛ إذ هو المعطوف عليه لا استحقاقهم النار، فضلاً عن كون الحدث الثاني هو عدم النصر لا النصر، وإنْ كان

ثمة استبعاد فهو للنصر لا لعدمه، وهذا يُظهِر صَحةَ ما ذكره الآلوسي من اعتراضٍ على دلالة الاستبعادِ في الآية المُباركة، إذ قال: «وتُعقب بأنَّ أثر الحرف إنما هو في مَدخوله ومَدخول {ثُمَّ} عدم النصرة وليس بِمُستبَعد، وإنما المُستَبعد نصرُ الله تعالى لهم»(٧٩)، ومن المُحدَثين من تابعَ الزمخشري في دلالة التراخي في الآيةِ المباركة ولم يُوكل مَهمةَ كشف دلالة التراخي الذي تؤديه (ثم) في الآية المباركة إلى السياق، فقالَ بدلالتها على الاستبعاد أيضاً(٨٠).

تَحصّل من ذلك أنّ دلالة الاستبعاد دلالةٌ فرعية هي نتاج تآزرِ الدلالة الرئيسية (البعد المعنوي) بين حدثين مع ما يُشعرُ به السياقُ من أنَّ الحدث الثاني أمرٌ مُستبَعَدُ الوقوع بالنسبة للحدث الأول، فالحدثُ الأول مُهَيَّأ لعدم حصول الثاني، وحصولُ الثاني يُعد بعيداً غيرُ مناسب للحدث الأول، والفيصل في ذلك الاستبعاد العقل والعرف(٨١).

وبالرجوع إلى دلالة التراخي الفرعية في الآية المُباركة السابقة نجد أنَّ السياقَ يومئ إلى ترقي الحدث الثاني وهو الذي عبَّر عنه قوله تعالى: ﴿**لا تُنْصَرُونَ**﴾، عن رُتبة الحدث الأول الذي عبّر عنه قولُه تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ**﴾ في الغرض المساق له الكلام وهو استحقاقهم العذاب بما قدمت أيديهم، فالظاهر أنّ الآية المباركة أرادت أنَّ رُتبة عدم نصر الله تعالى أشد وأفظع من عدم نصرة غيره(٨٢)، وهذا ما يلائم دلالة التهويل التي تنسجم مع دلالة النهي عن فعل يترتب عليه العذاب الأليم، ولا يَرى البحث للسياق أيَّ دلالة على الاستبعاد، إلا بتأويلات بعيدة عن صريح الآية المباركة.

ومن المواضع التي يظهر فيها السياق دلالة الاستبعاد بشكل واضح قوله تعالى:

﴿الْحَمْدُ للهِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾(٨٣)، فأن يكون الحمد مُختصاً بالله سبحانه وتعالى، الذي خَلق هذه المخلوقات العظيمة، يُنافي وقوع الشرك والكفر بالله تعالى، بل يوجب الاعتراف له سبحانه بالتفرد بالإلوهية والربوبية، وهذا وجه عَدِّ العدولِ مُستَبعَداً(٨٤). ولم تُستَنفد كلُّ دلالات التراخي الفرعية بإثبات دلالة الاستبعاد في الآية المباركة؛ إذ ثمة دلالة أخرى يلوّح بها السياق، ولعلها أظهر لدلالة البعد المعنوي بين الحدثين من سابقتها، وهي دلالة التعجب المَشوبِ بالتوبيخ واللوم(٨٥)، «أي أنَّ اللهَ سبحانه بخلقه السماواتِ والأرض وجعله الظلمات والنور مُتوحدٌ بالإلهية مُتفرد بالربوبية لا يماثله شيء ولا يشاركه، ومن العجب أنَّ الذين كفروا مع اعترافهم بأنَّ الخلق والتدبير لله بحقيقة معنى الملك دون الأصنام التي اتخذوها آلهة يعدلون بالله غيره من أصنامهم ويسوون به أوثانهم فيجعلون له أنداداً تُعادله بزعمهم فهم مَلومون على ذلك»(٨٦). فلم تعد دلالة الاستبعاد مُنفردةً؛ بل شَفعها السياقُ بدلالة التعجب واللوم. وثمة ترابط بين الدلالتين يُشعرُ بإفضاء الاستبعاد إلى التعجب والتوبيخ.

أما إظهار التعجب والتوبيخ الدلالةَ الرئيسة فعائدٌ إلى وجود العجب في الحدثين، فالكافرون يعلمون أنَّ الله تعالى خالق هذه المخلوقات العظيمة بدليل صريح القرآن(٨٧)، وعلى ما يدعو ذلك العلم إلى التعجب من حالهم، أو التعجب من ذلك الخلق العظيم، فإنَّ حالهم في الإشراك مع العلم بذلك أعجب من السابق، وهذا هو وجه الترقي الرتبي الذي يَدل على البُعد المعنوي بين الحدثين، قال ابن عاشور: «فـ{ ثم} للتراخي الرتبي الدالّ على أنّ ما بعدها يَتضمّنُ مَعنىً من نوع ما قبله، وهو أهمّ في بابه... فإنّ عدول المشركين عن عبادة الله مع علمهم بأنّه خالق الأشياء أمر غريب فيهم أعجب من علمهم بذلك»(٨٨)، ومن النحاة من سمّى دلالة

(ثم) في الآية المباركة التعظيم، ويبدو انه أراد دلالة الاستبعاد والتعجب المَصحوبتين بالدلالة الرئيسية (البُعد المعنوي)، يَظهر ذلك من قوله – في التقديم للاستشهاد بالآية المباركة –: «وقال في استعظام الكفر بعد خلق الدلالات المُفضية إلى مُبادرة الاستدلال ومُسارعة الإقرار... فهي التي يُقالُ فيها إنها للتعظيم»(٨٩).

ومن مواضع التراخي التي تُظهر دلالة الاستبعاد قوله تعالى: ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ**﴾(٩٠)، فالحدث الأول مَعرفة نعمة الله سبحانه وتعالى على اختلاف مصاديقها(٩١)، وهو مما يَبعدُ أن يَقع بعده الإنكارُ؛ «لأنَّ حَق من عرف النعمة أن يَعترف لا أن يُنكر»(٩٢)، ويمكنُ لمحُ إشارة السياق إلى دلالة التعجب التي تُظهرها غرابة الحدث الثاني الذي جعله مُستبعداً وهو ما يُشعر به البُعد المَعنوي بين الحدثين الذي يُشكل مُهلة رُتبيةً، قال ابن عاشور: «وصارت المهلةُ مهلةً رتبية لأن إنكار نعمة الله أمر غريب»(٩٣)، فدلالة البعد المعنوي – وهي دلالة يُبّينها السياق – تآزرت مع دلالات السياق الأخرى لتأدية الدلالتين الفرعيتين الاستبعاد والتعجب التي ربما أفضت إحداهما إلى الأخرى.

وربما مَكنت بعض السياقات التراخي من الدلالة على الاستبعاد المَشفوع بدلالة التوبيخ بما في تلك السياقات من دلالات تَنسجم مع دلالة التوبيخ، وذلك ما يبدو في قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ**﴾(٩٤)، فحدثُ الإشراك بالله مُستَبعدٌ بعد التنجية، ويدلُ على استبعاده ما ألزموا به أنفسهم عند اختفاء علاماتِ الخلاص من على مسرح أنظارهم وانقطاع كلِّ أملٍ عنهم خلا ما يتعلق بالله تعالى، فقد ألزموا أنفسهم بالكون من

الشاكرين لله تعالى إن حصل القيد (التنجية)، لكن التنجية حصلت وصدر منهم خلاف ما تعهدوا به، فجاء التراخي بـ(ثم) لبيان هذه الدلالة بالاتكال على البُعد المعنوي بين التنجية والشُّرك بالله تعالى(٩٥). قال الآلوسي: «وكلمة ثم ليس للتراخي الزماني بل لكمال البعد بين إحسان الله تعالى عليهم وعصيانهم»(٩٦)، ومتابعة سياق الآيات تُظهر الاستدلال العقلي على لزوم طاعة الله والإخلاص له بالعبادة، فيكون صدور الإشراك منهم – مع تعهدهم بأن يكونوا من الشاكرين – موبقةً استحقوا عليها التأنيب والتوبيخ.

ويُزيدُ البيانُ القرآني دلالةَ التوبيخ وضوحاً بوضعه الإشراك بدل الشكر الذي تعهدوا به؛ «للتنبيه على أن من أشركَ في عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبده رأساً إذ التوحيد ملاك الأمر وأساس العبادة»(٩٧)، فيكون ما ألزموا أنفسهم به، وهو الشكر فيه إشارةٌ إلى الإيمان؛ لأنَّ «الشُّكر على الحقيقة يتضمن الإيمان»(٩٨). لكنَّ حقيقة أمرهم أنّهم لم يوفّروا القاعدة التي يقومُ عليها الشكر، فتهاوى بنيانهم وظهرَ بعد ما جاءوا به، وبهذا يكون السياق قد أوضح دلالة التراخي على الاستبعاد والتوبيخ(٩٩)، بما كان من تواشج دلالته مع دلالة البُعد المعنوي.

ومن طريف بَلاغة العبارة القرآنية أنّها استعملت لمثل هذه الدلالة – أعني دلالة الاستبعاد– وفي مثل هذا الموضع، (إذا) الفجائية بين الحدثين، وذلك قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾(١٠٠)، فالإشراكُ بالله مُستبعدٌ وقوعه إثر التنجية(١٠١)، لاسيما أنّهم كانوا قد دَعوا الله مُخلصين له بالعبادة، فجاءت (إذا) الفجائية للتعبير عن سرعة مبادرتهم إلى أمر غير مُتوقع يُشكّل مفاجأةً مُستَبعَدَةً بعد ما سبقه من الأحداث.

ولعل النظر إلى الحدثين في آية الأنعام: التنجية وإشراكهم بالله تعالى من جانب زماني يُظهرُ أنَّ بينهما تعقيباً، وهو الذي أُشير إليه في آية العنكبوت بـ(إذا) الفجائية، وهذا يَدعونا للبحث عن سر اختلاف العلاقتين رغم كونهما بين الحدثين نفسيهما وفي الموقف ذاته.

يبدو أنَّ الاستبعاد في آية الأنعام المُؤدى بدالة التراخي (ثم) استبعادٌ مُستند إلى بُعد الحدث الثاني مَعنوياً، وهو المناسب لما عليه السياق، فلم تكن العناية بالجانب الزماني للأحداث، بل وردت الأحداث في معرض الاستدلال والتحكيم العقليين على لزوم عبادة الله وحده، وهو ما دل عليه قوله تعالى قبل الآيتين -محل البحث-: **﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾**(١٠٢)، وقوله تعالى بعدهما: **﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾**(١٠٣)، وبهذا يَتضحُ سَبب عَدِّ بعض العلماء (ثم) أعرق في الدلالة على التوبيخ من غيرها(١٠٤). ويتآزر مع دلالة التوبيخ الخطاب المباشر(١٠٥) في الآية الكريمة بخلاف آية العنكبوت.

أمّا الاستبعاد في آية العنكبوت الذي أُديَ بـ (إذا) الفجائية، فهو مُستند إلى بيان عنصر الزمن بين الحدثين، وسرعة تقلب أحوال المشركين، وكأن الآية المباركة حكاية لما عليه أحوالهم من سرعة مُقابلةِ النعمة بالجحود والإحسان بالشرك والكفر، وهو مناسب لما عليه سياق ما سبقها من الآيات وما تلاها؛ فقد سبقها تزهيد شأن الدنيا قِبَال الآخرة، وتلاها توعدُهم بوقوع مَغبة ما كانوا يَعملونَ وإنْ

كانوا مُتمَتعينَ بالدنيا، وهو قوله تعالى: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾(١٠٦)؛ ففي الآية الأولى إشارة إلى جهلهم، بعدِّهم الحياة الدنيا هي الحياة الدائمة، وجهلهم هذا ناسبَ شركهم بالله إثر تنجيته إياهم، وكفرهم نعمة التنجية تعلقاً منهم بمتعة الحياة الدنيا، لكن ذلك لن يدوم وسيعلمون مغبة ما اقترفوا، وهو ما تشير إليه الآية الأخيرة(١٠٧)، فيكون السياق أدخلَ في حكاية ما همهم من أمور الدنيا وما جعلهم يَعقبون نعمة الله كفراً وإلحاداً، فاجتلبَ عنصرَ المفاجأة الذي تعتمد العبارة القرآنية على عنصر الزمن في إظهاره، فيكون استعمال (إذا) الفجائية رعايةً لهذا المعنى. وبذا يظهر سر اختيار علاقة التعقيب بين الحدثين في موضع والتراخي في موضع آخر مع أنَّ الموقف واحدٌ، والدلالة مُتشابهة لكنَّ ما صَاحبها من دلالاتٍ لا يجعلها مُتماثِلةً.

الخاتمة

تعرض القرآن الكريم في مجموعة من المواضع إلى نسبة بعض الأحداث إلى البعد، وكان ذلك البعد بعداً معنوياً، وقد شكّل إدخال العبارة القرآنية تلك الأحداث المستبعدة في علاقات مع أحداث أخرى مَرجعية للحدث المستبعد، بها يُسبَرُ بُعدُهُ، ويُبيَّنُ بَونُهُ؛ فالحدثُ الذي أُدخلَ معه في علاقة زمانية يُشكِّل نقطة بدء البعد المعنوي للحدث المستبعد.

وقد انحصرت تلك العلاقات بالمصاحبة والتعقيب والتراخي، وقد كان لعلاقة المصاحبة مَزيةٌ على العلاقتين الأخيرتين من جانب دلالتها على الاستبعاد؛ فقد انقسمت قسمين في النصوص التي كانت دلالتها الفرعية فيها استبعاد وقوع الحدث الثاني من المتصاحبين، قسمٌ ظهر فيه تحقق الحدث المُستَبعد مع عدم وجود مُقدماته وشروطِه، وعبَّرَ عن انتفاء ذلك الوجود الحدثُ الآخر، وتفضي دلالة استبعاد الحدث في هذا القسم إلى دلالة أخرى كالتعجب، وذلك ما يُلحظ في مواضع كثيرة منها تحقق الولادة لزوجة إبراهيم عليه السلام مع مُصاحبة ذلك عقم الزوجة وشيخوخة الزوجين. أما القسمُ الآخر فالحدث المُستَبعد غير مُتحقق، وتفضي فيه دلالة الاستبعاد إلى دلالة التوبيخ، ومن أمثلته نفي تحقق دخول المخاطبين الجنة ما لم يصاحب جهادهم وصبرهم، وهو الذي عبّر عنه قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾.أما في علاقتي التعقيب والتراخي فيغلبُ على الحدث المُستَبعد أن يكونَ مُتحققاً.

ومن جانبٍ آخر كان لعلاقتي التعقيب والتراخي مَزِيَّةٌ على علاقة المصاحبة، تمثلت في تخصيص العبارة القرآنية لكل عَلاقة دالةً واحدة للتعبير عن دلالة الاستبعاد؛ فقد خصصت (إذا) الفجائية للتعبير عن تلك الدلالة في عَلاقة التعقيب بين الأحداث؛ وكان ذلك التخصيص يركن إلى دلالتها على السرعة والمبادرة بالأمر غير المُتوقَع، وهو عِمادُ دلالة الاستبعاد في التعقيب، وهي دلالة تفتقر لمثلها دوال التعقيب الأخرى، ولعل ذلك سر اختيار العبارة القرآنية التعقيب بـ(إذا) الفجائية في المواضع التي يُشعِرُ السياقُ فيها باستبعادِ الحدث الثاني، دون الدوال الأخرى. وقد خصصت لدلالة علاقة التراخي بين الأحداث على استبعاد الحدث الثاني دالةَ التراخي (ثم) لما تَدُلُّ عليه من البعد المعنوي والتفاوت الرتبي.

وخليق بالذكر أنّ البحثَ لم يَجد للتراخي الزماني بين الأحداث دلالة على الاستبعاد، وكانت تلك الدلالةُ مَخصوصةً بالتراخي المَجازي، ولعلَّ ذلك عائد إلى زوال اتصاف الحدث بالبعد المعنوي مع تأخره عن نقيضه زماناً طويلاً، وكأن ذلك التأخر الزماني للحدث الثاني يزيلُ سمةَ البعدِ المعنوي عن الحدث المُتقدم. وهذا خلاف ما بين الأحداث في علاقتي المصاحبة والتعقيب.

وظهرَ للبحثِ أنَّ دلالةَ الاستبعاد دلالةٌ سياقية فالحدثُ يكتسبُ سمة البُعد المعنوي من السياقِ، ولم يكتفِ السياق في بيان هذه الدلالة فحسب، بل عَمَدَ إلى مَزج دلالةَ الاستبعاد مع ما فيه من دلالات أخرى ليفضي ذلك المزج دلالات فرعية أخرى كالتعجب والتوبيخ.

---

١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزابادي: ٢ / ٢٥٧، وينظر: مفردات

غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٥٣.

٢) ينظر: مفردات غريب القرآن: ٥٣، والبحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٣/ ٣٠٥، وبصائر ذوي التمييز: ٢ / ٢٥٧

٣) النساء: من الآية ١١٦.

٤) ينظر: أحكام القرآن، ابن عربي: ٤ / ٢٦٣.

٥) ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج: ٣/ ٢٢٧.

٦) الكتاب، سيبويه: ٤ / ٧٠.

٧) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام: ٥ / ٦٨٤.

٨) الأزمنة والأمكنة، المرزوقي: ١ /١٤٢.

٩) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: ٦٥٨.

١٠) يوسف: من الآية ٣٦.

١١) النمل: ٣٧.

١٢) المعجم المفصل في النحو العربي، د. عزيزة فوال: ١ / ٣٦٠.

١٣) آل عمران: ٣٨ -٣٩.

١٤) روح المعاني، الآلوسي: ٣/ ١٤٥، وينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٣/ ٢٣٩.

١٥) التوقيف على مهمات التعاريف: ١٦٩.

١٦) المعجم المفصل في علوم اللغة، د. محمد التونخي: ١ / ١٦٠.

١٧) البقرة: من الآية ٢٤٣.

١٨) ينظر البحر المحيط: ٢ / ٢٥٨ – ٢٥٩.

١٩) التحرير والتنوير: ١ / ٣٨٢.

٢٠) آل عمران: من الآية ٤٠.

٢١) روح المعاني: ٣/ ١٤٩.

٢٢) آل عمران: من الآية ٤٧.

٢٣) مريم: ٢٠.

٢٤) التفسير الكبير، الرازي: ٢١ / ١٧٠.

٢٥) هود: ٧٢.

٢٦) الكشاف، الزمخشري: ٢ / ٤١١.

٢٧) آل عمران: من الآية ١٠١.
٢٨) التحرير والتنوير: ٤/ ٢٩.
٢٩) آل عمران: ١٤٢.
٣٠) شرح شذور الذهب، ابن هشام: ٣٢٩.
٣١) فتح القدير، الشوكاني: ١ / ٣٨٥.
٣٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٤ / ٥٢٣.
٣٣) التحرير والتنوير: ١٤ / ١٠٣.
٣٤) التوبة: من الآية ٥٨.
٣٥) ترشيح العلل في شرح الجمل، القاسم بن الخوارزمي: ١٩٢.
٣٦) التحرير والتنوير: ١٠ / ٢٣٢.
٣٧) شرح الكافية، الرضي: ٤ / ١١٠.
٣٨) الزخرف: ٤٧.
٣٩) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٥ / ١٤٧.
٤٠) ينظر: بدائع الفوائد، ابن القيم: ١ / ١٦١ – ١٦٢.
٤١) الإسراء: من الآية ٦٧.
٤٢) التفسير الصافي، محسن الفيض الكاشاني:٣ / ٢٠٥.
٤٣) الزخرف: ٥٠.
٤٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٩ / ٢٠٥–٢٠٤، ومجمع البيان، أبي علي الطبرسي: ٩ / ٨٦.
٤٥) المؤمنون: ٦٤.
٤٦) الكشاف: ٣ / ١٩٤.
٤٧) المؤمنون: ٦٥ – ٦٧.
٤٨) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ١٥ / ٤٤.
٤٩) الأنبياء: ١٢
٥٠) الأنبياء: ١٣ و١٤.
٥١) ينظر: (إن) و(إذا) و(لما) في سياقات الابتلاء بالخير والشر في القرآن الكريم، د. رباب صالح: ٤٧٥.
٥٢) الروم: ٣٣.

٥٣) التبيان في تفسير القرآن: ٨ / ٢٥٠.

٥٤) التحرير والتنوير: ٢١ / ٩٧.

٥٥) معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ٤ / ٩٨.

٥٦) النور: ٤٨.

٥٧) ينظر مجمع البيان: ٧ / ٢٦٢.

٥٨) روح المعاني: ١٨ / ١٩٥، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤ / ١٩٦.

٥٩) ينظر سر صناعة الإعراب، ابن جني: ١ / ٢٦٠ – ٢٦١، وشرح المفصل، ابن يعيش: ٩ / ٣، وهمع الهوامع، السيوطي: ٢ / ١٣٤ ـ ١٣٥.

٦٠) ينظر: الكتاب: ٤ / ٢٣٤، والبحر المحيط: ٥ / ١٣٤.

٦١) لقمان: ٣٢.

٦٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٦ / ٢٣٨، وينظر: مجمع البيان: ٨ / ٩٥.

٦٣) العنكبوت: ٦٥.

٦٤) ينظر: البحر المحيط: ٧ / ١٥٥، وروح المعاني: ٢١ / ١٣.

٦٥) النساء: من الآية ٧٧.

٦٦) ينظر: التبيان في تفسير القران: ٣ / ٢٦١، وأسباب النزول، الواحدي: ١٥٩– ١٦٠، والكشاف: ١ / ٥٣٥.

٦٧) التحرير والتنوير: ٥ / ١٢٥.

٦٨) السجدة: ٢٢.

٦٩) الكشاف: ٣ / ٥١٥.

٧٠) ينظر: نفسه: ١ / ١٥٥، ١٦٠، ٣٤٨.

٧١) ينظر: الكشاف: ٢ / ٣٧٧، و ٤ / ١١٤، و٤ / ٧٥٧، و ١ / ٢٤٧.

٧٢) ينظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد حسنين ابو موسى: ٢٣٨ – ٢٤٠، (إن) و(إذا)و(لما) في سياقات الابتلاء بالخير والشر: ٤٤٧.

٧٣) أساليب العطف في القران الكريم، د. مصطفى حميدة: ١٦٧.

٧٤) الأنعام: ١.

٧٥) البحر المحيط: ٤ / ٧٤.

٧٦) نفسه: ١ / ٤٢٧.

٧٧) هود: ١١٣.
٧٨) الكشاف: ٢ / ٤٣٤.
٧٩) روح المعاني: ١٢ / ١٥٥.
٨٠) ينظر: أساليب العطف في القرآن الكريم: ١٧٣.
٨١) ينظر: روح المعاني: ٢٩ / ١٢٢، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٣٨ - ٣٣٩، وأساليب العطف في القرآن الكريم: ١٧٢.
٨٢) ينظر: روح المعاني: ١٢ / ١٥٥.
٨٣) الأنعام: ١.
٨٤) ينظر: الكشاف: ٢ / ٤، وروح المعاني: ٧ / ٨٥.
٨٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٢ / ٢٦٦، وروح المعاني: ٧ / ٨٥، والميزان: ٧ / ٧.
٨٦) الميزان في تفسير القرآن: ٧ / ٨.
٨٧) صرحت بذلك آيات كثيرة منها: العنكبوت: ٦١، ولقمان: ٢٥، والزمر: ٣٨، والزخرف: ٩.
٨٨) التحرير والتنوير: ٧ / ١٢٨.
٨٩) ترشيح العلل في شرح الجمل: ٢١٩.
٩٠) النحل: ٨٣.
٩١) ينظر: مجمع البيان: ٦ / ١٨٧.
٩٢) الكشاف: ٢ / ٦٢٦، وينظر: روح المعاني: ١٤ / ٢٠٦.
٩٣) التحرير والتنوير: ١٤ / ٢٤٢.
٩٤) الأنعام: ٦٣ - ٦٤.
٩٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٧ / ٢٨٣.
٩٦) روح المعاني: ٧ / ١٨٠.
٩٧) نفسه.
٩٨) المحرر الوجيز: ٢ / ٣٠٢.
٩٩) ينظر: المحرر الوجيز: ٢ / ٣٠٢، وروح المعاني: ٧ / ١٨٠.
١٠٠) العنكبوت: ٦٥.
١٠١) ينظر: البحر المحيط: ٧ / ١٥٥، وروح المعاني: ٢١ / ١٣.

١٠٢) الأنعام: ٦١ – ٦٢.

١٠٣) الأنعام: ٦٥.

١٠٤) ينظر: المحرر الوجيز: ٢ / ٢٦٦، والكليات، أبي البقاء الكفوي: ٣٢٥.

١٠٥) الميزان في تفسير القرآن: ١٥ / ٤٤.

١٠٦) العنكبوت: ٦٤ – ٦٦.

١٠٧) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: ١٤ / ٤٧٥ – ٤٧٧.

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم

٢) (إن)و(إذا)و(لما) في سياقات الابتلاء بالخير والشر في القرآن الكريم، د.رباب صالح جمال (بحث) مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ج(١٧) ع (٣٣) ربيع الأول ١٤٢٦ هـ.

٣) أحكام القرآن، أبي بكر محمد بن عبد الله ابن عربي، ت ٥٤٣هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (دار الفكر: بيروت).

٤) الأزمنة والأمكنة، أبي علي المرزوقي الأصفهاني، ت ٤٢١هـ (مطبعة مجلس دائرة المعارف: الهند، ١٣٣٢هـ،ط١).

٥) أساليب العطف في القرآن الكريم، د.مصطفى حميدة (الشركة المصرية العلمية للنشر – لونجمان، ١٩٩٩م، ط١).

٦) أسباب النزول، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ت هـ، تحقيق: أحمد صقر (دار الكتاب الجديد، ١٩٦٩م، ط١).

٧) الأصول في النحو، أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، ت٣١٦هـ، تحقيق: د.عبد الحسين الفتلي (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٩٨٨م، ط٣)

٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، ت٦٨٥هـ (دار الفكر: بيروت).

٩) بدائع الفوائد، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ، تحقيق:علي بن محمد العمران (دار عالم الفوائد).

١٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، ت٨١٧هـ، تحقيق: محمد علي النجار (المكتبة العلمية: بيروت).

١١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، د. محمد حسنين أبو موسى (دار الفكر العربي: القاهرة).

١٢) التبيان في تفسير القرآن، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت ٤٦٠ هـ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي (مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ط١).

١٣) ترشيح العلل في شرح الجمل، صدر الأفاضل القاسم بن الخوارزمي، ت٦١٧هـ، تحقيق: عادل محسن سالم العميري (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي: مكة المكرمة، ١٩٩٨م، ط١).

١٤) تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، ت٧٤٥هـ، تحقيق:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠١م).

١٥) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ت ١٣٩٣هـ (الدار التونسية للنشر: تونس، ١٩٨٤م).

١٦) التفسير الصافي، محسن الفيض الكاشاني، ت ١٠٩١هـ، صححه: الشيخ حسين الأعلمي (مكتبة الصدر: طهران، ١٤١٦هـ، ط٢).

١٧) التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، ت ٦٠٤هـ (دار الكتب العلمية: بيروت، ٢٠٠٠م).

١٨) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ت١٠٣١هـ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية (دار الفكر المعاصر: بيروت، ١٤١٠هـ، ط١).

١٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين الآلوسي، ت ١٢٧٠هـ (دار إحياء التراث العربي: بيروت).

٢٠) سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جني،ت ٣٩٢هـ، تحقيق، د حسن هنداوي (دار القلم: دمشق، ١٩٩٣م، ط٢).

٢١) شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستراباذي، ت٦٨٦هـ،تحقيق: يوسف حسن عمر (منشورات جامعة قاز يونس: بنغازي، ١٩٩٦م، ط٢).

٢٢) شرح المُفصّل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، ت٦٤٣هـ (إدارة الطباعة المنيرية).

٢٣) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري، ت ٧٦١هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (دار الطلائع: القاهرة، ٢٠٠٤م).

٢٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت ١٢٥٠هـ (دار الفكر: بيروت).

٢٥) الكتاب، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه، ت ١٨٠هـ، تحقيق: عبد السلام هارون (مكتبة الخانجي: القاهرة، ١٩٨٨م، ط٣).

٢٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ت٥٣٨هـ (دار الكتاب العربي: بيروت، ١٤٠٧هـ).

٢٧) الكليات، أبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، ت ١٠٩٤هـ، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٩٩٨م، ط٢).

٢٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي،

ت ٥٤٨هـ، تحقيق: لجنة من العلماء (مؤسسة الأعلمي: بيروت،١٩٩٥م، ط١).

٢٩) معاني النحو، د. فاضل السامرائي (شركة العاتك: القاهرة).

٣٠) المعجم المُفصّل في النحو العربي، د. عزيزة فوّال (دار الكتب العلمية: بيروت).

٣١) المعجم المفصل في علوم اللغة، د.محمد التنوخي، مراجعة: أميل يعقوب (دار الكتب العلمية: بيروت،٢٠٠١هـ، ط١).

٣٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. عبد اللطيف محمد الخطيب (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت، السلسلة التراثية (٢١).

٣٣) مفردات غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، ت ٥٠٢هـ، تحقيق:محمد سيد كيلاني (دار المعرفة: بيروت).

٣٤) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي ت ١٤١٢هـ (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية: قم المقدسة).

٣٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت ٨٨٥هـ (دار الكتاب الإسلامي: القاهرة).

٣٦) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت٩١١هـ، تحقيق: أحمد شمس الدين (دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٨م، ط١).